إسرائيل) قامت على شعار 'سور وبرج'
11-8-2003

ويرى كثير من المحللين السياسيين أن بناء الجدار إنما يعكس العقلية الإسرائيلية التي قامت على الهوس الأمني ومحاولة إحاطة نفسها بما يمنعها من الإختلاط بالآخرين, وقد ظهرت ثقافة "الغيتو" منذ بداية القرن السابق, الأمر الذي جلب لليهود الكوارث بسبب الصورة السلبية التي ارتبطت في أذهان الغير حول الطبيعة اليهودية القائمة على التعالي والجشع وكراهية الغير

بقلم وسام عفيفة

مواد ذات علاقة

يزحف باتجاه الشرق : الجدار الفاصل بدأ أمنيا وانتهى سياسيا

قصة الجدار الفاصل - هذا المشروع التهويدي - التي تريد الحكومة الإسرائيلية من خلاله ضم أكثر من 10 في المائة من الأراضي الفلسطينية، الأكثر خصوبة، والأكثر غنى بالماء في الضفة الغربية، ليس جديدا على الفكر والعقيدة اليهودية بل هو جزء من تاريخهم. المتجول في مختلف مدن و قرى

الكيان الإسرائيلي سيلحظ وجود إجراءات أمنية مشددة, سواء في تل أبيب أو القدس أو حتى حول المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة, تتراوح ما بين حاجز عسكري أو جدار أو كتل أسمنتية أو دوريات متنقلة. وتظهر هذه المشاهد واضحة في مدينة القدس المحتلة والتي تحولت بفعل الحواجز والنقاط العسكرية إلى ما أشبه بالسجن الكبير.

ويرى كثير من المحللين السياسيين أن بناء الجدار إنما يعكس العقلية الإسرائيلية التي قامت على الهوس الأمني ومحاولة إحاطة نفسها بما يمنعها من الإختلاط بالآخرين, وقد ظهرت ثقافة "الغيتو" منذ بداية القرن السابق, الأمر الذي جلب لليهود الكوارث بسبب الصورة السلبية التي ارتبطت في أذهان الغير حول الطبيعة اليهودية القائمة على التعالي والجشع وكراهية الغير .

* عقيدة الجدار

قبل مئات السنين كان المشهد ذاته، انطلق اليهود ليقيموا الجدران حول أريحا، ويفيد المؤرخون اليهود أنه في الممالك التي أقامها اليهود في هذه البلاد كان الجدار هو أهم ما يحرصون على إقامته حول مدنهم وتجمعاتهم السكانية، وقبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، حرص اليهود حول المدينة على إقامة الجدار حول قراهم لتصبح قلاعا محصنة. وفي مطلع الهجرة اليهودية لأرض فلسطين أواخر العام التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين كان الصهاينة يقيمون الجدار حول مستوطناتهم. ويشير الكاتب الإسرائيلي يهودا ليطاني إلى أنه في العشرينات والثلاثينيات أطلق اليهود حملة "جدار وبرج"، في إشارة إلى كون التحصين أهم عنصر في العقيدة الأمنية للدولة العبرية. وحتى عندما انتقل الصهاينة إلى

شن الهجمات الإرهابية على الفلسطينيين، ظلت العقيدة نفس قائمة، حيث رفع الصهاينة شعار "هجوم وجدار". وبعد الإعلان عن الدولة بقي الجدار يحتل مكانة كبيرة في العقيدة الأمنية. ويشير ليطاني إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأول ديفيد بن غوريون كان يشاهد وهو يحاول أن يشارك في إقامة الجدار حول المستوطنات الحدودية، كنوع من أنواع الأعمال التطوعية في ذلك الوقت. وبعد حرب الأيام الستة أقامت إسرائيل خط "بارليف" الشهير، الذي كان ينظر إليه على اعتبار أنه أهم ضمانة أمنية حينئذ. وبلغ الإرتهان إلى نظرية "الجدران" أوجه مؤخرا، في قرار حكومة شارون إقامة الجدار الفاصل في قلب الضفة الغربية. لا شك أن هذه التوطئة تسند ما قرره القرآن الكريم في قول الله تعالى " لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو

من وراء جدر بأسهم بينهم شديد...".
* بين الأمن والغيتو
في سياق نقاش جمع عددا من نواب الكنيست الإسرائيلي، سألت النائبة نوعامي بلومنتال رئيس الوزراء شارون الذي حضر النقاش: "أي شعب يحيط نفسه بجدار؟ إن هذا يعيدنا إلى عهد الغيتو".
الكاتب و الأديب الإسرائيلي المشهور أ.ب. يهوشع يصف مدى حيرة الإسرائيليين في إيجاد إطار يجمعهم بقوله (عبرة الكارثة النازية وهدف الصهيونية كانا أن على الشعب اليهودي أن يضع نفسه في حدود، وأن ينفصل عن الشعوب الأخرى، وأن يعيش في داخل حدود واضحة. مشكلة عدم وجود حدود في دولة إسرائيل ووجودنا في داخلهم مثلما كان الحال عليه في الشتات هو الذي يتسبب في هذه العلاقة الفظيعة. نحن جئنا لأرض إسرائيل من أجل العيش

في داخل حدودنا، ومنذ حرب الأيام الستة عدنا واختلطنا بشعب آخر. الرد يكمن في الإفصال عنهم. وضع حدود لتكون هناك دولة فلسطينية حتى لا يتمكن الشاب النابلسي من وضع قبلة على جبين والدته وواضعا حزاما ناسفا على وسطه ليتوجه لتفجير نفسه في وسط القدس). و دلالة على استمرار عقلية الغيتو قرر وزراء الحكومة الإسرائيلية، العام الماضي دعم اقتراح قانون يمكن الوكالة اليهودية من إقامة بلدات جماهيرية لليهود فقط. ويعتبر القرار الحكومي اختراقا لسابقة قضائية أقرتها محكمة العدل العليا عندما أمرت بمنع التمييز بين العرب واليهود في إسرائيل في هذا الشأن. ومنذ عام 1997 أعدت وثيقة تبحث في إنشاء جدار أو سور حول الأحياء اليهودية القريبة من المناطق الفلسطينية بناء على طلب قائد شرطة القدس المحتلة

آريه عاميت. الفكرة تمركزت حول منع تسلل العرب من مخيمات اللاجئين وبيت جالا للقدس، ومنع إطلاق النار بشكل مباشر نحو منازل جيلو. معد التقرير العميد احتياط يورام لونينسكي أوصى بإقامة سور أسمنتي في مقطع واحد فقط، وهذا يعود لعدة أسباب، حسب رأيه. والآن بعد خمس سنوات من إعداد التقرير ما زال لونينسكي يعتقد أن الأسباب ما زالت قائمة بالنسبة لمنطقة خط التماس أيضا.

* شعار" سور وبرج"

منذ أن نشأت الدولة العبرية في شكل قرى وتجمعات كان الجدار الذي يحيط بهذه القرية أو ذاك "الكيبوتس" هو من أولى الضروريات. وكان الشعار الذي رفعته إسرائيل آنذاك "سور و برج", مما يدل على استحكام الهوس الأمني, بل إن كاتبا إسرائيليا ذهب إلى أبعد من ذلك حينما

وصف أن "اليهود يحاولون إحاطة أنفسهم بسور دائم", قائلا (منذ الهجرات الأولى شعر المستوطنون اليهود بالحاجة إلى إحاطة أنفسهم بجدار فيما اكتفى جيرانهم العرب بأشجار الصبار التي تحيط بقراهم.
في فترة الأحداث في نهاية الثلاثينيات أحيطت القرى والمدن الجديدة بجدران من الخشب معززة في إطار حملة ما سمي "سور وبرج".
غير أن "عقلية الجدار" استحكمت في السنوات التالية أيضا. فحتى بعد إقامة دولة إسرائيل لم تنته المخاطر. فتسلل "الفدائيين" والمتسللين العاديين إلى القرى والمدن اليهودية في منطقة القدس، والشارون والنقب والجليل أدت إلى تواصل ذات النمط على نحو شبه تلقائي: جدار لكل قرية ومدينة. والإحساس ذاته بأننا نمثل جزيرة داخل بحر من العرب، حتى بعد إقامة

الدولة، برزت لدى العديد من الإسرائيليين الحاجة إلى الأسوار والجدران. صورة معروفة من الخمسينيات تظهر رئيس الوزراء في حينه دافيد بن غوريون، بالملابس الكاكية والقفازات يلف سياجا على جدار في إحدى القرى الحدودية). وليست فقط هذه القرى التي أحيطت بالأسيجة وحقول الألغام، بل إن قرى ومدنا داخل البلاد سيجت خوفا من وصول المتسللين إليها. وبين 1948 و 1967 كانت القدس محاطة بالأسيجة والحيطان الوقائية حماية من القناصة، والعوائق المضادة للمدرعات وما شابه. عاصمة إسرائيل بدت، وهكذا كانت بالفعل، مدينة حدودية بكل معنى الكلمة. معظم المستوطنات التي أقيمت في الأراضي الفلسطينية بعد حرب الأيام الستة أحيطت بالجدار مثل الذي حصل في عهد "سور وبرج". ورغم أن

جيش الإحتلال الإسرائيلي سيطر على الضفة الغربية وقطاع غزة بقوة وبطش، فإن الجدران التي تحيط بالمستوطنات أشاعت إحساسا من الضعف والعزلة.
"كريات أربع" المحاطة بالجدران وأبراج الحراسة من كل اتجاه تشبه حتى اليوم في عين الناظر الاجنبي مدينة محصنة شبه عسكرية وليست قرية مدنية عادية.
ويرى ليطاني (الكاتب الإسرائيلي اليساري) أن "جدار الفصل الذي تجري إقامته هذه الأشهر، والذي صار صخرة خلاف بين الرئيس بوش ورئيس الوزراء شارون، هو استمرار لذات الميل. إنه مثال على العزلة التي فرضناها على أنفسنا. إنه رمز قصر نظرنا. ومنذ الأزل وجد العدو السبل لتجاوز الجدران واقتحام الأسوار، ابتداء من أسوار أريحا القديمة وانتهاء بخط ماجينو وخط بارليف في القرن العشرين. وسواء جدار أم

سور فليس هذا سوى أحد العناصر التي تشكل الأمن العام للأمة. ولكن الغريب أن شعبا كاملا يعلق كل آماله على جدار فاصل وليس على اتفاق ثنائي ملزم، يرهن أمنه في الأبراج المزدهرة. ووراء الجدار ستوجد دوما العناصر التي ستحاول الاقتحام والهدم والاجتثاث من الجذور".

يزحف باتجاه الشرق : الجدار الفاصل بدأ أمنيا وانتهى سياسيا

20-7-2003

ويتوقع أن يضم الجدار الفاصل، الذي تعكف إسرائيل على بنائه في السنة الأخيرة، من أجل الفصل بينها وبين مناطق السلطة الفلسطينية، أجزاءً كبيرة من مناطق الضفة الغربية إلى إسرائيل، أكثر بكثير مما قد نشر حتى الآن

بقلم وسام عفيفة

تجد الحكومة الإسرائيلية أنه من الضرورة الحيوية لأمنها استكمال الجدار الفاصل حتى لو أدى ذلك إلى خلق أزمات سياسية وأمنية مع الجانب الفلسطيني فضلا عن أزمات

حزبية داخلية. وقد أعلن رئيس الوزراء الاسرائيلي عن تصميمه استكمال بناء الجدار رغم كل الإنتقادات التي وجهت من قبل الإدارة الأمريكية, ويصر شارون و بتأييد من المؤسسة الأمنية أن يلعب الجدار الدور الأساسي في تغيير الخارطة الجغرافية على جانبي الخط الأخضر إضافة إلى تغيير مسار الحلول السياسية التي تسعى لمنح الفلسطينيين دولة في حدود عام 67 .
واتضح في الآونة الأخيرة أن الجدار الفاصل يزحف باتجاه الشرق بصورة مخيفة ويلتهم في طريقه آلاف الدونمات الزراعية والأراضي الفلسطينية, بل إنه شق مئات القرى الفلسطينية إلى نصفين واخترق عشرات المنازل وأصبحت العائلة الواحدة موزعة بين جداري الفصل لا يصل أحدهما إلى الآخر إلا بتصريح من سلطات الإحتلال.
وفي هذه الأيام توشك المرحلة الأولى على

الإنتهاء لنحو 120 كيلو متر من الجدار، من هجلبواع وحتى منطقة طولكرم وقلقيليه.
وعدة اعتبارت دفعت المخططين: مسار الجدار سيكون دوما على حساب أراضي الضفة الغربية وليس الأراضي داخل الخط الأخضر. ويدور الحديث عن خط عرض بنحو 50 متر على جانبي الجدار، بحيث أن كل كيلو متر من الجدار يحتل نحو 50 الف متر مربع، هي نحو 50 دونم.
* بدأ امنيا وانتهى سياسيا
كان من الواضح أن الحكومة الاسرائيلية لجأت إلى إقامة الجدار الفاصل بين الضفة الغربية وأراضي عام 48 لمنع الفدائيين الفلسطينيين من التسلل إلى داخل الخط الأخضر لتنفيذ عمليات ضد أهداف
إسرائيلية, وكان ضغط الجمهور الإسرائيلي في هذا المجال له أثر كبير خاصة بعد أن تزايدت نسبة العمليات الإستشهادية. وقد

وضعت الخطط بداية بهدف تحقيق أكبر قدر ممكن من الأمن للإسرائيليين، غير أنه ومع كثرة النقاشات والخلافات حول مسار الجدار تعمق الطابع السياسي أكثر فاكثر, وظهر وزراء مؤيدون وآخرون معارضون, فالذين عارضوا قالوا إن الجدار يشكل حدودا سياسية بيننا وبين الفلسطينيين وهذا اعتراف صريح بأنه يوجد للفلسطينيين كيان منفصل. المستوطنون هم الآخرون لعبوا دورا كبيرا في التأثير على حكومة شارون لتغيير مسار الجدار وقد تراوح موقفهم بين التردد والرفض والتأييد, ذلك أن المستوطنات في الضفة الغربية تعتبر في نظرهم جزءا لا يتجزأ من اسرائيل ويريدون للجدار أن يوفر لهم حماية أمنية وفي نفس الوقت الحاقا سياسيا بالدولة العبرية لكنهم تخوفوا من الحدود السياسية للدولة الفلسطينية المرتقبة، والتي تعتبر في

نظرهم تهديدا كبيرا, لذلك تغيرت خطط مسار الجدار أكثر من مرة بسبب اعتراض المستوطنين على استثناء مستوطناتهم من حماية الجدار. المستوطنون يدعون في منشوراتهم، تحت عنوان "على جدار الأمن"، بأن من "يدفع لإقامة الجدار هم اليساريون في اسرائيل الذين دفعوا الدولة نحو كارثة اوسلو وأصحاب مصالح اقتصادية، بينهم مسؤولون كبار سابقون في الجيش الاسرائيلي وفي المخابرات ممن تورطوا في التعاون مع مسؤولين كبار فاسدين في السلطة الفلسطينية. وكل شيء يرمي إلى إعادة اسرائيل إلى حدود العام 1967 وتخريب المستوطنات في يهودا والسامرة وغزة".

ويقول شلومو غازيت وهو خبير أمني وجنرال اسرائيلي سابق "لقد ولدت المبادرة لإقامة جدار فصل بين اسرائيل

والضفة الغربية بضغط من الجمهور الذي بحث عن رد أمني يمنع المخربين الذين يقومون بالعمليات من الدخول السهل إلى المراكز السكانية. وكانت المبادرة أمنية صرفة، ولكن كل الأشخاص تقريبا ممن طرحوها علنا لم يكونوا مستعدين لمحاكاة نموذج قطاع غزة وطرح جدار أمني على طول الخط الأخضر. وتحدثوا أيضا عن التطلع إلى الانفصال عن المناطق الفلسطينية، ومن هنا، اقترحوا مسارات تحيط بأجزاء كبيرة من الاستيطان اليهودي في يهودا والسامرة، في ظل التوصية بإخلاء ما سيُقام خلف هذا الخط". ويضيف غازيت "أما من عارض الجدار فكان وزراء الحكومة. فقد فهم هؤلاء بأنه لا يمكن اقتراح مسار يخدم في آن واحد منع دخول المخربين ويحمي كل الاستيطان في يهودا والسامرة".

* حتى مشارف نابلس

ويتوقع أن يضم الجدار الفاصل، الذي تعكف إسرائيل على بنائه في السنة الأخيرة، من أجل الفصل بينها وبين مناطق السلطة الفلسطينية، أجزاءً كبيرة من مناطق الضفة الغربية إلى إسرائيل، أكثر بكثير مما قد نشر حتى الآن. وسيقطع الجدار، طبقـًا للخطة التي صادق عليها شارون، ووزير الدفاع شاؤول موفاز، قلب شمال الضفة الغربية حتى مشارف مدينة نابلس، حيث سيحيط بالكتلة الاستيطانية التي تبدأ بمستوطنة "ليف هشومرون" وتنتهي بمستوطنة "كدوميم". ويطلق الجيش الإسرائيلي على المقطع الذي سيقام بين غرب شمال الضفة الغربية، من منطقة مستوطنة "إلكانا"، وحتى مدينة القدس، اسم "الطريق الآخر". ومن المتوقع أن يبدأ بناؤه خلال الأشهر القريبة، ليكون جاهزًا في سنة 2004.

* الجدار سيتجه شمالاً

وكشف النقاب في وقت سابق عن أن الجدار سينحرف شرقـًا(باتجاه المدن والقرى الفلسطينية)، وسيمتد من جانبي شارع "عابر شمال الضفة الغربية"، ليحيط بمستوطنة "أريئيل"، التي تقع على بعد 25 كيلومترًا إلى الشرق من الخط الأخضر. ويشار إلى أن طول المقطع الذي سينحرف فيه مسار الجدار يتروا بين 15 إلى 20 كليومترًا. وسيطول مسار الجدار بعشرات الكيلومترات، سواء في المقطع الذي يحيط بمستوطنة أريئيل، أو في المقاطع التي ستتم إضافتها باتجاه الشمال، غير أن ذلك هو أحد الأبعاد. وعلى الرغم من الإعلانات الإسرائيلية المتكررة بأن الجدار هو عبارة عن حل أمني، وليس حلاً سياسيًا مستقبليًا، فإن الاقتطاعات الأحادية الجانب التي تنفذها إسرائيل في مناطق الضفة الغربية

خلال عملية بناء الجدار هي السبب الرئيس في ترسيخ القناعات بأن اسرائيل تريد فرض واقع سياسي جديد. ويذكر أن مسار الجدار الفاصل، سبب الشهر الماضي المواجهة التي حدثت بين مستشارة الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي، كوندوليسا رايس، من جهة، وبين شارون، ووزارء الحكومة من الجهة الأخرى. وكانت رايس قد أوضحت للوزراء، أنه على الرغم من أن إسرائيل تدعي أن الجدار لا يشكل حدودًا سياسية، إلا أنه يفرض حقائق على الأرض، حيث ينظر إليه الفلسطينيون على أنه حدود سياسية، ومن الممكن أن يخلق مشاكل في المستقبل. كما ذُكر آنفـًا، فإن مقطع الجدار الثالث سيبدأ قريبًا جدًا، ورغم مصادقة مساره على يد شارون ووزيو موفاز إلا أن بناءه يحتاج إلى مصادقة الحكومة الإسرائيلية. ويتوقع أن يعرض موفاز

وشارون مسار المقطع الثالث على الحكومة الإسرائيلية في الأيام القليلة الماضية، إضافة إلى عرض المقطع الذي سيتم بناؤه شرقي مدينة القدس.
وكشف نائب وزير الدفاع الإسرائيلي خلال أقواله عن مسار المقطع الرابع الذي سيبنى من مدينة القدس جنوبًا حتى منطقة عراد، ليضم بداخله منطقة "غوش عتسيون" الاستيطانية إلى إسرائيل. وسيتم بناء المقطع، وفق التقديرات، في السنوات 2005 و- 2006. ويستنتج غازيت بأن "الجدار سيغلق المجال أمام كل احتمال لإقامة دولة فلسطينية في حدود عام 67".